سري جدا

●●●

علمـت "العـرب" مـن مصـادر مطلعـة أن دوائر حقوقية فلسـطينية بدأت تُعـدّ العدة لفتـح تحقيق فـي الوفـاة الغامضـة للقيادي الفلسطيني فيصل الحسـيني ومسؤول ملف القـدس الـذي توفـي في الكويت صائفة 2001 بنوبة قلبية كما قيل وقتها.

وأضافت هـذه المصادر لـ«العـرب» أن مبـرر إعادة فتح الملف هو شـكوك لدى الدوائـر المعنيـة مـن أن تكـون الوفـاة ناجمة عن عملية تصفية جسدية يقف وراءها الموسـاد كما حدث منذ أسابيع مع القيادي في حماس محمود المبحوح.

●●●

بالعربي الفصيح

في انتظار قمة طرابلس (3)

❑ الحبيب الأسود

تأتـي قمة طرابلـس والوضع العربـي يـزداد رداءة وانحـلالا والنظـام الرسـمي يـزداد عجزا واختـلالا، والوطن الكبيـر يزداد تشـتّتا وتمزقا وانفصـالا.. تأتي قمـة طرابلس، والصـراع محتدم فـي بـلاد الرافديـن بـين أنصار العروبة المؤمنين بالهوية القومية وبالانتمـاء الحضـاري العريـق والأصيـل للعراق، وبـين من يريد احتـكار العراق فـي نزعة طائفية مقيتة مسـتندة إلى خطة إقليمية مدروسـة لـ«تفريس» الخليج بدءا من الساحة العراقية..

ففـي العـراق المحتـل، أصبح الدفـاع عـن العروبـة والهويـة القوميـة كافيـا لإطـلاق فزاعـة الخـوف مـن البعـث والبعثيين، ولإثـارة حفيظـة طهـران التي لم يُخـف رئيـس نظامهـا أحمـدي نجـادَ رفضـه لعـودة العروبيين إلـى صـدارة الفعـل السياسـي عندما قـال إنه لن يُسـمح للبعث بحكم العراق من جديـد. ويعرف الأمريـكان والعرب والعراقيون أن عـراق اليـوم رهينـة بيـد الفرس، وأنـه أصبح جزءا مـن أية صفقة يحـاول نظام الملالـي إبرامها مع الغرب، مثله مثل الوضع في لبنان وفـي غـزة؛ والأهـم من هـذا أنه بسـقوط البوابة الشـرقية للوطن العربي الكبير في يد إيران سـقط الجـدار الأخير، واختـل التوازن الاستراتيجي وتعرّى ظهر الخليج والجزيرة العربية، وتمدّد الصراع الطائفـي، ووجد الشـيعة العرب أنفسـهم في مـأزق تاريخي، فهم إما عروبيون يتعرضون للتصفية والإقصاء والتخوين والتشكيك في انتمائهـم المذهبي، أو متفرّسـون خاضعـون لأوامر الفرس، يلعبون ضد قوميتهم ويجاهرون بتطرّفهم وبعدائهم للعرب السـنة وللقومية العربية..

ومـا الحملـة المشـبوهة التي يقوم بها بعض شـيعة لبنان ضد مشـاركة بلادهم في قمة طرابلس المنتظرة، إلا دليل على إمعانهم في محاولة تشـتيت الصـف العربي، بما يخـدم مصالح قـوى إقليمية ترفض اجتماع العـرب على كلمة سواء.. ولا شك أن الأنظمة العربية والمؤسسات القومية مطالبة اليوم أن تقف وقفة حازمة لدعم الشـيعة العروبيـين، سـواء فـي العـراق أو في لبنـان أو فـي البحرين أو فـي اليمـن أو في أي قطـر عربي آخر، ولمسـاعدتهم ماليا وإعلاميا ولوجسـتيا علـى حمايـة مذهب الـولاء لآل البيت مـن أي اختراق يحـوّل رمـوزه وأتباعـه وتراثه الثقافي إلى أدوات في يد إيرن.

كمـا أن النظـام الرسـمي العربـي مطالب اليوم بدعم عروبة جنـوب العـراق، وبالوقـوف إلى جانب القبائل والعشـائر العربية هنـاك وحمايتهـا مـن عواصف الرياح الصفراء، كما أن مسـاندة أهلنـا فـي الأحـواز المحتلة تعتبر واجبـا قوميا، وحاجـة حضارية واسـتراتيجية مرتبطـة ارتباطا لصيقا بالأمن القومي العربي.

أما التأكيد على عروبة الخليج فهـو أمر ضـروري خصوصا وأن اسـتهدافها بـات واضحا من قبل مـن يحتلون أجـزاء مـن الوطن الكبيـر ويدّعون السـعي لتحرير جـزء آخر. وقمـة طرابلس مدعوة لأن تكـون قمـة الوعـي بواقع لم يعد مـن الممكن التغافـل عنه، ولا غض الطرف عـن نتائجه التي قد تكون كارثيـة- لا قدر الله- في حالة عدم التنبّـه إليها ومجابهتها بكل الوسائل والإمكانيات.

هل سقط العرب في الفخ؟

لا بديل عن المفاوضات سوى.. المفاوضات!

❑ نبيل زكي

رغم أن حكومة نتنياهو في إسـرائيل غيـر مؤهلة وغير راغبـة في التوصل إلى أي تسـوية عادلة للصراع الفلسـطيني- الإسـرائيلي، ورغـم اسـتمرارها فـي الاسـتيطان والتهويد ومصادرة الأراضي وهدم البيوت الفلسـطينية والاعتداء على المقدسات الدينية الإسلامية.. إلا أن العرب وافقوا على إجراء مفاوضات غير مباشرة مع أعتى حكومة يمينية عنصرية وفاشية معاديـة للعرب وللفلسـطينيين في تاريخ إسـرائيل. ورغـم اقتناع الجميع- سـواء الفلسـطينيين أو العرب أو الإسـرائيليين أنفسـهم- بأن هذه المفاوضات لن تسـفر عـن أية نتائـج، إلا أنهـا بـدأت بالفعل. والمؤسـف أن حجم الأخطار التي تحاصر قضية فلسطين وشـعبها تزداد هولا، وأن هذه القضية في أسوأ لحظاتها بعد أن قرر العـرب أنه لا بديل عن المفاوضات سـوى المفاوضـات، ولا بديـل عن إهـدار الوقت سوى إهدار المزيد من الوقت!

شـهد هذا الأسـبوع وصول المبعوث الأمريكـي للسـلام في الشـرق الأوسـط «جورج ميتشل»، وأعقبه «جو بايدن» نائب الرئيس الأمريكي، وبدأ كل منهما سلسـلة من الاجتماعات مع المسؤولين الإسرائيليين والفلسطينيين.

وتجـيء هذه الزيـارات قبـل موافقة منظمة التحرير الفلسـطينية بشروط على إجراء مفاوضات غير مباشـرة مع إسرائيل برعايـة الولايات المتحـدة الأمريكيـة لاستئناف عملية السلام.

وقال أمين سـر المنظمـة عقب اجتماع لجنتها التنفيذية أن الجانب الفلسـطيني أراد أن يعطـي فرصـة محـددة لفتـرة زمنيـة مدتها أربعـة أشـهر. وأضاف أن الفلسـطينيين يريدون أن تبدأ المفاوضات حول الحدود للدولة الفلسـطينية- حدود الرابع مـن يونيو عـام -1967 وما يتصل بها من الجانب الأمني. كما قال إن القيادة الفلسـطينية تؤكـد على ضـرورة الوقف الكامل للاسـتيطان في القـدس وعموم الأراضـي الفلسـطينية ووقـف مصادرة الأراضـي وهدم المنـازل والاعتداءات ضد الشـعب الفلسـطيني كمطلـب أساسـي لمفاوضات مباشرة.

وقـد اتخذت اللجنـة التنفيذية القرار المذكـور رغـم ما قيـل عن صعوبـة كانت تعترض اتخاذه بسب معارضة وتحفظات من فصائل فلسـطينية مثل حزب الشـعب والجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين وأعضاء في اللجنة.

وقـدم التغطيـة لهـذه الموافقـة الفلسطينية على المفاوضات غير المباشرة القـرار الـذي اتخـذه وزراء الخارجيـة العـرب بالقاهرة بإجراء هـذه المفاوضات الفلسـطينية- الإسـرائيلية بعـد ضغـط مـن جانب إدارة الرئيـس الأمريكي باراك أوبامـا.. وبذرائـع تقليدية مكـررة منها: «مـا الـذي سيخسـره الفلسـطينيون لو وافقوا على هذه المفاوضات؟ ومنها: «حتى يكتشف العالم، مرة أخرى، من الذي يعرقل مسيرة السـلام(!)» و«لكي تخلق رأيا عاما مؤيدا للفلسـطينيين ومعارضا للسياسة الإسرائيلية»(!).

وهكذا يوافق الفلسطينيون- والعرب- على مفاوضات غير مباشـرة مع إسرائيل في ظل استمرار توسيع نطاق الاستيطان الإسـرائيلي في القدس والضفة الغربية، وفي ظـل الإجراءات الإسـرائيلية لتهويد التراث العربي الفلسطيني والمواقع الدينية الإسـلامية المقدسـة، وتوقع ضـم مناطق أخرى إلى ما يسـمى بالتـراث اليهودي. وبدلا من وقفة عربية إسـلامية- مسيحية ضد الخطوات الإسـرائيلية الاسـتفزازية والممارسـات الإسـرائيلية ضـد الحـرم الإبراهيمي، يوافق العرب على اسـتئناف المفاوضات مع إسرائيل!!

وكان الفلسـطينيون والعرب يطالبون بوقـف الاسـتيطان وقفـا كاملا كشـرط لاسـتئناف المفاوضات؛ ولما لم يتحقق ذلك وعجزت إدارة أوباما عن حماية أي ضغط على إسـرائيل لوقف الاستيطان.. شرعت في ممارسة الضغوط على العرب ووجدت الإدارة الأمريكية اسـتجابة عربية، رغم أن حكومة بنيامين نتنياهو في إسرائيل أغلقت عمليـا كل الطرق نحـو السـلام وتواصل تنفيذ اسـتراتيجية بعيـدة المدى لابتلاع أكبر مسـاحة مـن الأراضي الفلسـطينية واسـتيعاب أقل عدد من الفلسطينيين. بل إن حكومـة نتنياهو اسـتبقت زيارة نائب الرئيـس الأمريكي بايدن بإعلان موافقتها على بناء 112 وحدة سـكنية في مستوطنة «بيتـار عيليت» بالقرب مـن بيت لحم في الضفة الغربية. وصدر القرار أثناء وجود المبعوث الأمريكي ميتشـل في إسـرائيل، وعقب قرار لجنة المتابعة العربية بالقاهرة وقـرار اللجنة التنفيذيـة لمنظمة التحرير بالموافقة على المفاوضات غير المباشرة!!

والمعروف أنه تم الإعلان في إسـرائيل عن خطـة لتهويد بلدة سـلوان في محيط البلدة القديمة بالقدس القريبة من أسـوار المسـجد الأقصـى وهـدم حي البسـتان الفلسطيني لإقامة «حديقة قومية يهودية» مكانـه.. إلـى جانـب مخططـات لهـدم منازل الفلسـطينيين في عـدد من الأحياء الفلسـطينية في القـدس، مثل حي «وادي الحلوة» و«راس العامود».

الأكثر من ذلك أن الفلسطينيين والعرب، الذين وافقوا على اسـتئناف المفاوضات، يعرفـون أن التجميد المؤقت للاسـتيطان الـذي زعمـت الحكومة الإسـرائيلية أنها نفذتـه فـي الضفـة الغربية.. لـم يحدث على الإطلاق. فقد كشـف تقرير إسـرائيلي نشـرته صحيفة «جيروزاليم بوسـت» نقلا عن مكتب الإحصاء المركزي الإسرائيلي أن عدد وحدات السكن في المستوطنات ارتفع خلال الربع الأخير من العام الماضي، وهي الفترة التي كانت من المفروض أن يؤدي ما وصف بالتجميد الحكومي لهذه الأنشطة إلى تخفيض هذا العدد. وقد بدأ العمل في 593 وحدة سكنية اسـتيطانية في الضفة الغربية من أكتوبر حتى ديسمبر الماضيين بزيـادة 73.3 ٪ عـن الربـع الأول من نفس السنة (2009).

ووافـق الفلسـطينيون والعرب على اسـتئناف المفاوضـات رغـم الصدامات الدمويـة بـين المواطنـين الفلسـطينيين الغاضبين وقوات الاحتلال الإسرائيلي في أكثـر من منطقة بالضفـة الغربية ومدينة الخليل بسـبب قرار الحكومة الإسرائيلية بضم الحـرم الإبراهيمي ومحيط مسـجد بلال بن رباح للمواقع الأثرية الإسرائيلية، ورغم أن الفلسطينيين والعرب يدركون أن تهويد الحرم الإبراهيمي ومحيط مسـجد بلال بن رباح للمواقع الأثرية الإسرائيلية، ورغم أن الفلسطينيين والعرب يدركون أن تهويد الحرم الإبراهيمي هو مجرد مقدمة لتهويد المسجد الأقصى وباحته.

كما جاءت هذه الموافقة الفلسـطينية- العربية عقب تصديق نتنياهو على عملية اغتيـال محمـود المبحوح أحد مؤسسـي كتائـب عـز الدين القسـام ورغـم رفض الإدارة الأمريكية تقـديم ضمانات مكتوبة للفلسـطينيين حول حـدود 4 يونيو 1967 والسقف الزمني للمفاوضات.

وكما كان متوقعا، فإن حكومة نتنياهو ترفـض الآن اسـتئناف المفاوضـات مـن النقطة التي انتهت إليها بين حكومة ايهود اولمرت السابقة والسلطة الفلسطينية.

ويرفـض نتنياهـو وجهـة النظـر الأمريكيـة القائلة بأن المفاوضات الجديدة تبدأ من مسـألة الحـدود، ويعتبر أن غاية هـذه المفاوضات «عـن قرب» هـي تقريب الطرفـين من العودة إلى مائدة المفاوضات المباشـرة!! وهنـاك مـن يـرى أن الجديد الأمريكـي، هذه المرة، هو تعهـد الولايات المتحـدة بالإعلان عـن الطرف المسـؤول عن فشـل المفاوضات غير المباشـرة. وإذا كانـت الإدارة الأمريكيـة قـد عجـزت عن تنفيـذ الالتـزام الأولـي لإسـرائيل- وفق مشـروع خريطة الطريـق- بتجميد البناء في المسـتوطنات، فـإن من المسـتبعد أن تحمل واشنطن.. إسرائيل مسؤولية فشل المفاوضات، والأرجح أنها- كما فعلت حتى الآن- سـوف تحمـل الطرفين المسـؤولية بالتساوي!

ويخطئ مـن يفترض أن زيـارة نائب الرئيـس الأمريكـي للمنطقـة تسـتهدف في المقـام الأول دفع العمليـة التفاوضية الفلسـطينية- الإسـرائيلية، والصحيـح أن المهمـة المركزية الرئيسـية للنائب هي «تهدئة القيـادة الإسـرائيلية والتأكد من أنهـا لا تخطـط لتشـويش جهـود ادارة الرئيس اوباما لبلورة جبهة دولية لفرض العقوبات على إيران. وهذا ما يفسر زيارة ثلاثة وفود أمنية أمريكية لإسرائيل خلال الأسبوعين الماضيين على رأسها وفد رئيس الأركان الأمريكـي الأدميـرال مايكل مولن، وكذلك زيـارة رئيس الأركان الإسـرائيلي جابي اشكنازي للولايات المتحدة الآن.

ويقول المعلق الإسرائيلي في الهآرتس «الوف بن» «إن التكهنات «عن اسـتعدادات إسـرائيل للحـرب تمنح إسـرائيل أهمية دولية لم يسـبق لها مثيـل. والدليل على ذلـك أن الرئيـس الأمريكي أوبامـا يقيم جسـرا جويا مـن المسـؤولين الأمريكيين الكبـار الذين يتوافـدون على إسـرائيل لمطالبـة نتنياهـو بضبط النفس». وهذا هو مـا يريده نتنياهـو: أن يكون التهديد الإسـرائيلي بإشـعال حـرب إقليمية هو الشـغل الشـاغل للإدارة الأمريكية وليس الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية أو المستوطنات! بل إن نتنياهو يريد أيضا أن يشعر ممثلو شركات الاستثمار العالمية بالفضـول والرغبة في معرفة «متى تهاجم إسـرائيل.. إيران؟» حتى يمكـن المضاربة على أسعار النفط، مما يعني في رأي المعلق الإسرائيلي أن أهمية إسرائيل الاقتصادية تكمن في قدرتها على صنع الأزمات! وكما هـو معلوم، فـإن حكومـة نتنياهو تعتبر أن الأولويـة القصوى في جدول أعمالها.. تقتصر على الملف النووي الإيراني، وليس الصـراع العربي- الإسـرائيلي، فهذا هو الموضـوع الأول الذي يجب أن يغطي على كل الموضوعات الأخرى سواء بالنسبة إلى إسـرائيل أو الولايات المتحـدة.. ويطغى على ما عداه.

والغرض الإسرائيلي من وراء المغالاة في الخطـر الإيرانـي وتضخيـم مخاطر البرنامـج النـووي الإيرانـي واضح كل الوضوح، وهو: «أن إسرائيل تواجه خطرا وجوديا مـن جانب إيـران، وبالتالي فإن مطالبتها بتقديم «تنازلات» للفلسـطينيين من شأنه زيادة هذا الخطر»!

وبعـد إقـرار هـذه المفاوضـة الفلسـطينية- الإسـرائيلية غير المباشرة تراهـن حكومـة نتنياهـو علـى أن إدارة أوبامـا سـوف تسـتغرق وتنشـغل فـي انتخابات الكونجرس منذ الآن حتى شهر نوفمبـر القـادم. وهذا ما جـاء في تقرير داخلي وزعته وزارة الخارجية الإسرائيلية على البعثات الدبلوماسية التابعة لها في الخارج ونشـرته صحيفـة هآرتس. وجاء فـي التقريـر أن الإدارة الأمريكية لا تعتزم بذل جهـود حثيثة فـي المفاوضـات غير المباشـرة بين الفلسـطينيين وإسـرائيل. وتقول صحيفـة هآرتس الإسـرائيلية إن زيارة «جو بايدن» نائب الرئيس الأمريكي لإسرائيل تستهدف «فتح صفحة جديدة من العلاقات بـين الإدارة الأمريكية ونتنياهو بغـرض تحقيـق مهمتـين: الاعتـراف بالأهمية السياسية لإسـرائيل ومؤيديها فـي الولايـات المتحـدة قبيـل انتخابات الكونجرس في نوفمبر القـادم، والتعبير عن التقدير لشـخص نتنياهو، وهو تقرير يسـتحقه بسـبب تأييـده لفكـرة دولتين لشعبين وتجميده للاستيطان!!

وإذا صح هذا الكلام.. فإننا نسـتطيع أن نعرف منـذ الآن نتائج المفاوضات غير المباشـرة دون حاجة لانتظار مرور أربعة أشهر.

والإدارة الأمريكيـة تحـرص علـى تجنب الكشـف عن موقفها تجاه القضايا الرئيسية. والمتوقع أن تتحاشى واشنطن اتخـاذ أي موقف يوحـي باختلاف الرأي مع إسرائيل بسبب ما تحظى به إسرائيل مـن تأييد بين نـواب الحزبين الجمهوري والديمقراطـي داخـل أروقـة الكونجرس الأمريكي. والملاحظ أنه يوجد ما يشـبه الإجمـاع بـين القـادة الفلسـطينيين أنفسـهم على فشـل المفاوضات المباشرة فـي تحقيـق أية نتائـج، وكذلـك مراهنة الفلسـطينيين والعرب على «إعطاء فرصة للإدارة الأمريكية لكي تواصل جهودها».

والأسئلة الكبيرة التي يطرحها مسؤولون فلسـطينيون وعرب هـي: ما هـو الدور الأمريكي الآن بعد الموافقة على المفاوضات؟ وهل ستنجح المفاوضات غير المباشرة في تحقيق ما عجزت عنه المفاوضات المباشرة طوال عشـرين عاما؟ وماذا بعد الجولات المكوكيـة التي قام بها جورج ميتشـل في المنطقـة والتي لم تحقق أي تقدم؟ وما هو البديل أمام الفلسطينيين والعرب في حالة فشـل المفاوضات غير المباشرة (هو فشل مؤكد)؟ وهل ستجري المفاوضات المباشرة حول ما سبق أن تم التفاوض عليه؟

ثـم.. ألم يسـبق أن طرحت عشـرات المشـاريع وزار المنطقة عشرات الوسطاء من مختلف الأجنـاس في رحلات مكوكية لم تسـفر عن أي شـيء؟ ومـا هي خطط الفلسـطينيين والعـرب بعـد فشـل هذه المفاوضـات غير المباشـرة؟ هـل نتوجه إلى مجلس الأمـن حيث ينتظرنا «الفيتو» الأمريكـي؟ ما هي خياراتنا بعد 22 سـنة من الانتفاضة الأولى و21 سنة على «إعلان الاستقلال»، وعشر سنوات على الانتفاضة الثانية وتضحيات هائلة بشـرية ومادية؟ وأيـن هـي الضمانـات والمرجعيات لأي مفاوضات؟

ألا يتوقع العرب أن تسـتغل إسرائيل هـذه المفاوضـات لمواصلـة ممارسـاتها الاسـتفزازية فـي الأراضـي المحتلة؟ ما هو الموقف لو واصل الإسـرائيليون بناء الجدار العـازل وهدم البيـوت ومصادرة الأراضـي وتهويـد القـدس والمقدسـات الإسلامية وتوسـيع الاسـتيطان؟ وماذا سـيقول العـرب فـي قمتهـم القادمة في طربلس؟!.

مؤتمر القمة العربي والأحوال العربية

❑ د. كاظم الموسوي

قريبا يعقـد مؤتمر قمـة الحكومات العربيـة الدوري ويـدرس، كما قيل عنه، الأحـوال العربيـة. فمـاذا يسـتطيع أن يعالـج منها، سـلبا وإيجابا؟ وهل ثمة إيجاب والحال من بعضه في أركان العالم العربـي. وإذا كانـت تصريحـات الأمين العام لجامعـة الدول العربية متشـائمة إلى درجة سـوداوية فكيف حال المواطن العربـي المغلوب على أمره والمحاصر من ولادته حتى وفاته؟. في افتتاحه للمؤتمر السادس عشـر للاتحاد العربي البرلماني المنعقـد فـي القاهرة مؤخـرا (2-3/4/ 2010) قـال الأمين العـام: إن "هناك أزمة ثقـة بين العرب بلغت الـذروة، ما أوصل العلاقات العربية إلـى درجة خطيرة من الاضطـراب حتى أصبح يؤثـر فيها من الأمور توافهها". وأضاف "هذه اللحظة تحمـل تحديات مصيريـة تتعلق بغياب الإصلاح الشـامل وتصاعد حـدة التوتر والعنف السياسـي في مواقع كثيرة من المنطقة العربية".

وأوضح أن "ما تقوم به "إسـرائيل" فـي الأراضي الفلسـطينية من انتهاكات واسـتيطان وضم مسـاجد إلـى التراث اليهودي، من شأنه أن يؤدي إلى الانهيار الكامـل للموقف الدولـي القائم على حل الدولتـين الأمـر الذي يـؤدى بالضرورة إلى خيـار إقامة الدولة الواحـدة على أرض فلسـطين". وحذر مـن أن "تراجع الإرادة الدولية عن موقفهـا إزاء تكثيف الاسـتيطان وعجزها عن اتخاذ إجراءات لوقف هذه السياسـة لن تسـتقيم معهما مفاوضات تسـتهدف تحقيق السـلام"، وإن "التطورات المتلاحقـة تتطلـب منا تحركا عربيا جماعيا ضاغطا من منطلق الحفاظ على مصالحنا المشتركة"، معربا عن أمله في "اسـتمرار التحرك والضغط العربي للعـودة إلى مجلس الأمن ووقف تهميش الأمم المتحدة".

بعد اجتمـاع البرلمانيين عقد اجتماع لمجلس وزراء الخارجية العرب (بحضور 16 وزيـرا والأمين العـام) للإعداد لمؤتمر القمـة، ولـم يكن بأفضـل منه، فاتسـم بغضب واحتجـاج وحتى اتهامات تحت الطاولة فـي تمرير أجنـدات غير عربية شـملت كل القضايا التي سـماها الأمين العـام ولـم يحـرص هـو نفسـه عليها في بيان ختـام اجتماع الـوزراء. وهذه القضايـا لم تكن الأولى ولا الاختلافات طبعا، ولكن أن تستمر الأجواء والأوضاع بهذه الروحية لعقد مؤتمر القمة، مسبوقا بكثير من الإحباط والخيبة والسـوداوية حتى في تصريحات أمينـه العام، فماذا سـتكون النتيجة؟. الخشـية الشـعبية طبعا أن تنعكس أخبار تسـونامي التي تجتاح مناطـق عديدة في العالم وتحدث مآسـي كارثية كبيرة فيها عربيا بشـكل سياسـي أولا، وتتسـع تداعياتها ثانيا، واقعيـا وعمليـا علـى مسـيرة العمـل العربي والعالم العربي والشعب العربي، الضحية الأكبر في أي تسونامي سياسي في محيطات العرب. والأسـباب ليسـت خافيـة ولكن "سياسـة النعامة العربية" هـي وراء كل ما يوفر لتسـونامي عربي مجالا ووضعا ملائما، من بناء الجداران وتكديس الأسلحة وإنقاذ الأزمات الغربية على حسـاب الأجيال العربية والمستقبل العربي، وقبول الأمـر الواقع في احتلال البلـدان وتدمير الـدول وعقد الاتفاقيات العسـكرية لديمومة القواعد العسـكرية والتفـنن في صناعـة الحـروب الأهلية وتقديم التسـهيلات للأسـاطيل الحربية للعـدو في المـرور من الأراضـي العربية للهيمنة عليها وفرض قراراتها وأحكامها من بعـد برضـا وتوافق مريبـين ودون إحراج مـن أي طرف منهـا. وغيرها من الأسباب الموجبة والمثيرة للفزع مسبقا.

استمع إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسـى في خطبة افتتاح المؤتمر السـادس عشر للاتحاد البرلماني العربـي ممثلو برلمانـات 18 دولة عربية، (مـن 22 دولة عضـوا) وممثلـو البرلمان العربـي الانتقالـي، والاتحـاد البرلماني الدولـي، والمؤتمر الإسـلامي، والبرلمان الإفريقي، ووفد من الكونجرس الأمريكي. (هـل هـذا تطـور إيجابـي أم مشـاركة مقصـودة بعدما أصبحت قوات الولايات المتحـدة في أغلـب بلاد العـرب، مقيمة باتفاقـات موقعة علنيـا)؟!. وليس غريبا أن يتصـدره كلام يطالـب ببـذل الجهد لاسـتعادة (التضامـن العربـي) في ظل تعدد دوائر تهديد الأمن القومي العربي، وعلى رأسـها الممارسـات "الإسرائيلية" لتهويـد القـدس، كمـا جـاء فـي كلمة المضيف رئيس مجلس الشـعب المصري، ودعا المجتمـع الدولي إلى التدخل ومنع العبـث بالمقدسـات الإسـلامية، محذرا مـن أن ذلـك العبث سـيؤدي إلى صراع الثقافات والأديان، في وقت ينادي العالم بضـرورة الحوار بـين الأديـان. (هكذا يضغط العـرب على المجتمـع الدولي!). ودعا رئيـس الاتحاد البرلمانـي العربي القمـة العربيـة المقبلة إلى إعـادة تقييم الوضع العربي من كافة جوانبه، ودراسة الأخطـار التي تحيط بالجميع في الوقت الراهن. وحذر من حدوث تطورات عاصفة لا يمكن لأحد توقـع نتائجها فيما يتعلق بضم "إسـرائيل" للمقدسـات الإسلامية فـي القـدس، واسـتمرارها فـي تطبيق سياسة الاستيطان للأراضي الفلسطينية وقتل وتشـريد الفلسـطينيين ومصادرة ممتلكاتهم.. فماذا سـيفعل مؤتمر القمة إزاء هذه التهديدات الخطيرة في المقدسات والقضيـة المركزيـة؟ وكيـف سـيضغط لوقـف هذه التهديدات وقد أعطي الضوء الأخضر للوفد الفلسطيني في التفاوض غير المباشر لمدة أربعة أشهر (بإشارة من واشـنطن) مع عدم توقع نتيجة إيجابية، كما أقر الأمين العام في المؤتمر الوزاري؟. وهل يسـتطيع المؤتمر الرد على الطلبات والتمنيـات مـن البرلمانـات العربية في التضامن العربي والتصـدي للتهديدات والتحديـات التي بدأت تنـزل الفأس في الـرأس دون أن تجد من يصـرخ (مجرد الصراخ!) بوجهها؟...

كيف سـيرد مؤتمر القمـة على بقاء القـوات الأجنبية المحتلة لبلـدان عربية رغمـا عن إرادة شـعوبها لعقـود طويلة قادمـة؟. وكثيـر من الأسـئلة المفزعة عن الأحـوال الداخلية للشـعب العربي، في الحيـاة العامـة والحقـوق المشـروعة والثـروات المنهوبة والصـلات المقطوعة والتنمية المفقودة..!

مجرّد رأي

تكريس للطائفية

❑ عبد الفتاح العربي

من المقرر أن تصدر المفوضية العليا المستقلة للانتخابات النتائج الجزئية اليوم الخميس، لكن النتائج الرسـمية سـيقع إعلانها في 18 مـن آذار- مارس الحالي.. ووسط هذا الترقب بينت النتائج الأولية محاصصة طائفية قسمت العراق إلى ثلاث قوى متنافسـة على تشكيل الحكومة المرتقبة. فقد حل ائتلاف دولة القانون بزعامة المالكي أولا في المحافظات الجنوبية التسـع؛ في حين حلت قائمة العراقية بزعامة عـلاوي أولى في محافظـات العرب السـنة الأربع (الأنبار وصـلاح الدين وديالى ونينوى)، أما في محافظة كركـوك التي يتنازعها الأكراد والعرب فقد حل التحالف الكردستاني الذي يضم الحزبين الرئيسيين أولا.

بهـذه النتائج فإن أي قائمة لن تتمكن من تشـكيل أي حكومة لوحدها ويصبح التحالف ضروريا مع القائمات الأخرى. والقراءة السريعة لهذة النتائج تشي بأنها لـم تقم على انتخاب لأحـزاب تملك برامج واضحة للخـروج بالعراق من الفوضى التـي وصل إليها وإنما هي انتخابـات جوهرها الطائفية ومحركها الولاء للمذهب أو العـرق. وهذا الفرز الطائفي والعرقي لن يضع الأسـس الصحيحة للديمقراطية الوليـدة في العراق، فالانتخاب على الأسـاس الطائفي أو العرقي لا يدعم الأسـس الديقراطية ولا يمكنه أن يمثل الديمقراطية المنشـودة التي يسعى إليها العراقيون الوطنيون الصادقون.

فعندما يلغى الهدف الأسـمى من العملية السياسـية وهـو الانتصار للبرنامج الأصلـح والقـادر على إحداث النقلـة النوعية في حياة العراقيـين من أمن وحياة كريمة وتوفير كل مستلزمات العيش الكريم، ويصبح التصنيف الطائفي هو السيد في عملية الانتخاب فإننا لا نعود نتحدث وقتها عن انتخابات تبحث عن الخروج من الوضع الطائفي الراهن وإنما عن عملية تسـاهم في تكريس بغيض للوضع القائم. فالكل مارس مهمة الانتصار للطائفة حتى وإن كانت لا تملك رؤية واضحة ولا برنامجا سياسيا يقنعه بأنها الأجدر بتشكيل الحكومة وحمل همومه وطموحاته المستقبلية. العـراق ليس بحاجة الآن لتكريس اللون الطائفي ولا للإقصاء والاتهامات المتبادلة وإنما هو مطالب بتحقيق شروط موضوعية تساعد على تشكيل حكومة لا من خلال المحاصصـة الطائفية ولكن من خلال الوطنيـة الصادقة أي أن تكون وطنيا فتخدم العراق وتخرجه من دائرة الفوضى التي تردى فيها ومن دائرة الولاءات الخارجية والقتل اليومي أو أن تترك المجال للآخرين الحاملين لآمال العراقيين والذين لا يرون إلا مصلحة العراق- الدولة وينسون مصالحهم الشخصية والحزبية.

الصراعات سـتتواصل بعد الانتخابات في ظل هـذه الرائحة الطائفية الكريهة التي أفرزتها الانتخابات الأخيرة ولن يسـكتها السلاح ولا اللجوء لدول الجوار ولا الرضاء الأمريكي والقادر الوحيد على إخمادها هو أن يعود العراق لأهله الوطنيين الصادقـين الذيـن يعملون فعلا على إخـراج كل المتدخلين في الشـأن العراقي من احتلال الى إيران الى كل الطامعين في ثرواته والناهبين لحضارته وتراثه وثقافته وذلـك لن يكون إلا فـي ظل حكومة وطنية قائمة على مشـروع وطنـي وليس على أساس طائفي.

تركيا تريد أن تتحرر

❑ محمد يحيى

العنوان يعبِّر بدقة عما يحدث في تركيا هذه الأيام.. فهذه الدولة العريقة المهمَّة سياسيًا واستراتيجيًا تريد أن تتحرر من السجن الذي وضعها فيه "مصطفى كمال أتاتورك" منذ ما يقرب من تسعين عامًا. أما مفتاح السجن فقد تركه أمانةً في خزائن الجيـش.. وأوصى به الجنـرالات وحذَّرهم من التفريط فيـه.. ووضع لهم مادةً في الدستور توجب عليهم التدخل الفوري عند الشعور بأي انتهاك لمبادئه وتعاليمه.

ولـم يقصُـر الجيش في تأمـين المفتاح أو التدخـل لحماية مبـادئ "أتاتورك" العلمانية المتوحشـة التي أرهقت الشـعب التركي وتركته قاعًا صفصفًا لا ترى فيه دينًا ولا خلقًا. ولم يجرؤ أحد في تاريخ تركيا الحديث المسـاس بمبادئ "أتاتورك" أو الاقتراب منها بسوء.. لأن النتيجة معروفة والعاقبة محسومة.. وما حدث "لنجم الدين أربكان" لا يخفى على أحد.

غير أن تطورًا مهمًا حدث في الساحة التركية في العشر سنوات الماضية يتمثَّل في نمو الشـعور الديني عند الشـعب التركي ودخوله كعنصر مكمِّل وليس منافيًا للشـعور القومي.. بالإضافة إلى بطلان "موضة" الانقلابات العسكرية والنظر إليها بريبـة وعدم احترام، ثم حاجة تركيا إلى فضائها العربي والإسلامي بعد يأسـها مـن الدخـول في جنة الاتحـاد الأوروبي. كلّ هـذه العناصر كان لهـا دور مهمّ في قبول "حزب العدالة والتنمية".. كرافد جديد ومقنع أضفى شكلًا جذابًا على الحياة السياسـية في تركيا وكسـر احتكارَ العلمانيين للحكم، وأجبرهم على الجلوس في مقاعد المعارضة.. وحزب العدالة والتنمية حزب سياسـي عادي جدًا، إلا أنه ينحدر من خلفية إسـلامية.. ويرى قادته أن الإسلام هو الوعاء الحضاري الذي من الخطأ أن تخرج منه تركيا.. فضلًا على أن تتنكر له أو تعاديه، وأن الأوان لنطق الشهادتين والأذان باللغـة العربيـة. غير أن مهمَّة حـزب العدالة والتنمية لم تكن سـهلة، بل محفوفة بالمخاطر والأهوال.. والفشـل وارد في أي لحظة.. ولا سـيَّما أن ثلاث قوى تحارب الحزب في آن واحد هي الجيش والمحكمة الدستورية والأحزاب العلمانية.. فقـد خـاض إلى الآن ثلاث معارك مهمـة؛ المعركة الأولى يمكن أن نسـمِّيَها المعركة السياسـية، وكانت حول رفض الجيش والأحـزاب العلمانية تولي (عبد الله جول) منصب الرئاسـة.. وانتصر فيها حزب العدالة والتنمية بالحكمة والدهاء السياسي والتوازن والتدرج في تنفيذ الأهداف.. فتولى الرجل أرفع وأعلى منصب في تركيا.

أمـا المعركة الثانية فيمكن أن نسـميها المعركة الاجتماعيـة الأخلاقية.. وكانت حول إصدار قانون يسـمح لنسـاء تركيا بدخول المؤسسـات الحكومية بالحجاب، وقوبل هذا القانون بالرفض العنيف من الأحزاب العلمانية والمؤسسات الدستورية واعتبروه ردَّة وكفر بمبادئ "أتاتورك"، وحولوا حزب العدالة للمحكمة الدسـتورية العليا (المعركة الثالثة) للنظر في شـرعيته ووجـوده. وجاء الحكم لصالح الحزب، ولكن مع تحذير شديد من مغبة المساس بمبادئ الزعيم.. ولكن حزب العدالة أبى أن يعود إلى الحكم بشـكل طبيعي وقانوني فقط. فدعا إلى انتخابات برلمانية مبكرة.. وعاد إلى الحكم على أعناق الجماهير محققًا فوزًا لم يحققه حزب في تاريخ تركيا.. ومـن المؤكـد أن (حزب العدالـة والتنمية) أحـسَّ بقرب تحرك الجيـش ضده فأقرَّ قانونًا يُجيز محاكمة العسـكريين أمام المحاكم المدنية.. ثم كشف عن تنظيم عسكري يحضِّر لانقلاب وشـيك. وزعم أن ضباطًا كبارًا فـي الجيش التركي موالون للحزب هم الذين سـربوا هذه المعلومات للحكومة. وهنا لم تتردَّد حكومة العدالة والتنمية فـي القبض على الضباط المتورِّطين فـي المؤامرة وتقديمهم للمحاكمة. وكان رئيس الحكومة قويًا وصارمًا وهو يقول: "لا أحد في تركيا فوق القانون"، وبالطبع يقصد الجيـش الذي ظـل ضباطه طويلًا فوق القانون... إن حـزب العدالة والتنمية انتقل بتركيـا إلى الأمام بخطى واسـعة وواثقة.. ووضعها في مصـاف الدول المحترمة علميًا وسياسـيًا واقتصاديًا، وحقَّق لها في بضع سنوات أضعاف ما تحقَّق في كل تاريخها الحديث.

مفاوض فوق الأعناق!

❑ أحمد جميل عزم

عندمـا قررت منظمة التحرير الفلسـطينية الذهاب إلـى المفاوضات وإلى مؤتمر مدريد للسـلام عام 1991 كانت تحظى بتأييد شـعبي واسـع انعكس في مظاهر منها احتفـالات عفويـة في الشـوارع أو أخرى نظمهـا تنظيم "فتح" الذي لـم يكن أصبح سـلطة، وخروج جماهير لاسـتقبال المفاوضين وحملهم على الأعناق لدى عودتهم من أولـى جولات التفاوض. وقد اكتسـب بعض المفاوضين، وبدرجات متفاوتة، شـعبية بين الجماهير الفلسطينية مثل الراحلين حيدر عبدالشافي وفيصل الحسيني، ومعهم حنان عشراوي التي فازت بالانتخابات التشريعية مرتين.

سـبب التأييـد حينها، أنّ خيار التفـاوض لم يكن قد تم تجريبـه، وأنّه تم تقديم المفاوضـات علـى قاعدة "المقاومة تزرع والسياسـة تحصـد" وأنّ التفاوض لن يمنع اسـتمرار وتصعيد الانتفاضـة، وأنّه لن تجري مفاوضات من دون وقف الاسـتيطان، وأنّ الجانـب الفلسـطيني يحقق اعترافـا دوليا متزايدا، رأى الرئيس الراحل ياسـر عرفـات أنّه بمثابة "وجود على الخريطة السياسـية سـيؤدي لوجـود على الخريطة الجغرافية"، كدولة مسـتقلة.. تراجع التأييد للمفاوضات كان تدريجيا ولأسباب عدة، أولها أنّه بموازاة التفاوض لم تتصاعد الانتفاضة، ما ضرب المبدأ الأساسي للتفاوض مـن حيث إنّه ترجمة سياسـية لقوى وتفاعلات ميدانية. ثم جاء إهمال التنسـيق مع الفصائل الأخرى والترهل لمنظمة التحرير الفلسـطينية، وتم اسـتثناء قيادات فاعلة داخل حركة "فتح" من عملية صنع القرار، كما حدث في حالة الشـقيقين خالد وهاني الحسن، وفاروق القدومي، وغيرهم، من الذين صدمتهم لاحقا اتفاقيات أوسلو السرية. شـعر الجمهور الذي كان يدافع عن نظرية متكاملة للتفاوض أنّه خدع، فالانتفاضة لم تسـتمر وبدل القيادات الذين تم اغتيالهم من أمثال خليل الوزير وصلاح خلف وهايل عبدالحميد برزت أسـماء لا تمتلك ذات الكاريزما أو الاتصال مع النضال الميداني، بل تم عمليًا تفكيك تنظيم "فتح" في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتوارت أسـماء قيادات ميدانية سـابقة لصالح من سـيصبحون قـادة الأجهزة الأمنية ولصالح شـخصيات خلافية. ثم إنّ المفاوضات جرت والاستيطان يتواصل. واستمر ترهل منظمة التحرير. وبينمـا كان هنـاك مفاوضون يحملهـم الناس علـى الأعناق اتضـح أنّ المفاوضات الحقيقية تجرى سـرا في أوسـلو. لم تكـن الظروف الدولية عنـد انطلاق مفاوضات مدريـد أفضـل منها الآن، بل علـى العكس يعترف العالم الآن بحق الفلسـطينيين في دولتهم ويعتـرف بمركزية قضيتهم. ولكن الظروف الذاتية الفلسـطينية كانت أفضل كثيرا من حيث الوحدة الوطنية ووضوح اسـتراتيجيات المقاومة. الحديث عن فرصة أخيرة للمفاوضات أقرب لنكتة لا تضحك أحدا، ليس فقط لأنّنا سمعنا عبارة "الفرصة الأخيرة" مرارا، ولأنّ الحقيقة أنّ هذه فرصة جديدة (لا أخيرة) للاستيطان ولتضييع الوقت لصالح إسـرائيل، بل لأنّ القيادة الفلسطينية ومن خلفها لجنة المبادرة العربية التـي أمّنت إخراجا يتخيل البعـض أنّه يحفظ ماء الوجه، لم تخبرنا ما هي البدائل؟. فعندما نتوعد أنّ هذه هي الفرصة الأخيرة لا بد أن يكون لدينا بديل حاسـم وضاغط. فإذا كان البديل هو عدم التفاوض، فهو سـيصبح أشـبه بلعبة الصعود على الشجرة ورمي السلم. فلم تكد القيادة تنزل عن شجرة عدم التفاوض من دون وقف للاستيطان، حتى صعدت شجرة مفاوضات الفرصة الأخيرة الجديدة.

الأصل عدم الذهاب للمفاوضات من دون حشـد الشـعب الفلسطيني خلف برنامج متكامـل يقوم على منظومة مقاومة وضمـن خيارات متعددة، وبحيث يكون التفاوض مجرد بديل وجزء من الحراك الوطني. وسـيكون مجديا أكثـر أن تعطي القيادة التي تقـود المفاوضات منذ 19 عاما نفسـها فـي مواقعها مهلة أخيـرة وأن تضع ترتيبات التنحي حتى تصبح مفاوضات الفرصة الأخيرة ذات معنى.